قرأت العدد الماضي من الآداب

القصص

بقلم زكريا الحجاوي

القلق : بقلم الدكتور سهيل ادريس

هذه قصة لكاتب له منهاج ، وهي قصة ذات قدرة على أن تلعب دورها في حياتنا ، لتطابقها مع اللحظة السيكلوجية ، فهي قصة «الانسان العربي» كل إنسان عربي ..

والقصة التي تلعب دورها في حياة الناس اليوم ، في بلادنا العربية ، هي القصة التي تنفعل انفاسها بأنفاس اللحظة التي نجتازها ، وليست تلك الأخرى التي يكتبها كاتبها ليخدم مذهباً من المذاهب . إن هذه حياة ، والأخرى دراسة نظرية تطبيقية .

إن كل ما حولنا ينبض بحقيقة هائلة هي أن الحياة أمر ممكن تحقيقه ، عملياً وبلا انتظار ، بخوض المعركة من أجل الحرية ، بدفعة شعبية متساندة زاحفة في اصرار نحو الهدف الكبير .

والإطار الذي يضم هذه الحقيقة الهائلة انما هو إطار « القومية » الغنية بعناصر القوة والحشد التاريخي ، وبعوامل نسج الوحدة ، الوحدة في استشعار الغضب ، والوحدة في استهداف الهدف ، لا من أجل شعارات أدبية ، وإنما من أجل هذه الوحدة ، من أجل القومية ، من أجل أصحاب هذه البلاد ... من أجل الانسان العربي .

واقد استشعر الدكتور سهيل خطر المنهاج القومي في الفن منذ حين بعيد ، فلم أقرأ له ما ينم عن انحيازه لمذهب بعينه ، إنتاجاً أو نقداً أو ترجمة أو توجيهاً ، وانما هو يسخر ملكاته كلها لهذا المنهاج الذي من شأنه أن يعين ابناء كل مذهب على سوق الكلمة العربية ، من أجلنا ، من أجل تاريخنا ، من أجل نضالنا ، من أجل الأنسان العربي .

واقد تمت الاستجابة بيني وبين القصة ، انفعالا وتأملا عميقاً ، لا للتشابه الكبير بين بطل القصة ، الدكتور سهيل ، وبيني في الايمان بأن القومية هي أخصب أرض يزرع فيها أصحابها شجرة الحرية — وإنما تمت الاستجابة أيضاً ليقيني بأن المنهاج القومي في الفن ، هو اعطاء القارئ « الحض » على الاشتراك في بناء حياته ، لا انتظار الحلول ، على يد زيد أو عمرو ...

بطل القصة ، تدق الحياة على قلبه ، من أية زاوية ، فينتشر الرنين حوله ، رنيناً قومياً خالصاً ، فمشكلته ليست نابعة من أصل معزول عن أصل المشكلة الكبرى ، قضية بلادنا ، فهو إذا دخل حجرة الدراسة لا يدخل وفي رأسه فصل من كتاب جاء يلقنه لتلامذته ، وانما يدخل الحجرة ، وهو يحس «بحاجة إلى أصدقاء يثق بهم ، ويثقون به ، رفاق قريبين اليه يلقى عندهم تواصلا وجدانياً ييسر له ، ولهم أن يرسموا خطة ، ويستشرفوا هدفاً ، ويحددوا غاية ... » وإذا ما دخل الصحيفة ليحرر انباء السياسة العربية ، فهو لا يرى نفسه يحرر وإنما « يعيش السياسة العربية في لحمه ودمه ، يعيشها ويموت فيها يعيشها ليموت فيها ، وإذ ذاك يشعر بأن الذي يموت فيه انما هو الأنسان العربي ... »

إن بطل القصة إنما هو نموذج الانسان العربي الذي يحيا في كل بلد عربي وهو يحس بفرحة انتصار المصري ، وبنهضة المراكشي ، وبالإطراقة الجزائرية الباسلة ، وهو لا يحيا هذه الحياة في ازدواج ، حياته المعاشية الخاصة ، وحياته الثقافية الوطنية ، وانما هو يحيا حياة واحدة مترابطة في كل شيء ، فهي قضية بعينها ، إذا ما أحس الانسان بحاجة إلى المال ، أو الى الطمأنينة ، أو إلى السعادة .. فإنما ذلك يعني أمراً ذا بال هو حاجته إلى الحرية ...

على أن ذلك لا يعني الدكتور سهيل من توجيه هذا السؤال الذي انتظر له رداً : « هل أعانه ذلك القالب الضيق — الأقصوصة — على بناء قصة تمت لها « الفنية » وتكامل العناصر ، أم أن القالب الآخر ، القصة ، ذلك الذي يصول فيه ويجول ، هو الذي كان يتسع له ... ؟

مفتاح الاقفـــال : بقلم الاستاذ مطاع صفدي

كشفت في عدد سابق من «الآداب» عن رأي لي في القصة ، وفي الأدب بوجه عام ، شعراً كان او نثراً ، وقلت إن الشكل في العمل الفني هو الذي يحدد قيمة هذا العمل ، ومن ثم يشير الى طبقة الكاتب .

وحقيقة أن الشكل والمضمون لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، إلا أن ذلك فيما يبدو ، لا يتم بصورة متكاملة ، إلا في العمل الكبير ، أعني في النماذج العبقرية ، تلك التي انتجها هؤلاء الذين يدرس عناصر الكمال في انتاجهم الدارسون ، سواء كان انتاجهم الرواية أو الأقصوصة ، أو القصيدة ...

ولقد كاد الاستاذ مطاع صفدي في قصته « مفتاح الأقفال » أن يكون من أصحاب النماذج العبقرية .

كاد ولم يتم له ما أراد لعمله ..

فالشكل في هذه القصة بما يحوي من الأسلوب التفكيري ، وطريقة العلاج ، ورسم الجو ، يدل بغير شك على أن الأستاذ مطاع صفدي كاتب قاص من الدرجة الأولى بالإثنتين ، الموهبة ، والثقافة ..

إن شخصية «صالح» شخصية ليست من الذاكرة ، ولا من الكتب ، وانما هي شخصية حية تعيش بيننا ، هنا في مصر ، وهناك في دمشق ، أو في بغداد ، والحياة التي يحياها صالح ، انما هي حياة هذا العامل المتأرجح بين كرم الأصل واتضاعه ، وبين النزوع الى المعرفة ، وأثقال الجهل ، والايمان بفكرة مخلصة ، والشك فيها .

وهذا التشابك الرائع ، بين صالح وبين الجو الذي يحيط به ، انما هو ارتفاع برسم الشخصية إلى جو الواقعية الملء بالحساسية والانفعال ، والحق « أن كل حادث كان يقع في يوميات المعمل ، وكل منظر فيه ، كان صالح يتلقاه على حواسه بنوع من الطرق ، كأنه ضربات من نوع آخر ، وهو الآن ، إذ يتشكل بخار الرق في رأسه ، ضمن بعض صور من المعمل ، بعض وجوه من المعمل ، بعض وقائع من المعمل ، فانما يحس على جمجمته طرقاً ، ولكنه من داخل هذه المرة . إن المعمل يضج ضجته داخل جمجمته ، ويزوغ بصره

كالعادة عندما تصبح مناظر المعمل عبارة عن حركات سريعة مجنونة ، لاحد لسرعتهـا وزيفهـا ... »

لا جدال ، في أن الجو الذي يحيا فيه صالح ، إنما هو جزء من شخصيته التي رسمها لنا الاستاذ مطاع بعمق ، ووضوح ، واثقال ...

كاد الاستاذ مطاع ، لولا اضطراب المضمون ، أن يأتي لنا بعمل فريد ...

هل صحيح أن صالح ، ورفاقه ، من هؤلاء المناضلين ، يزداد فيهم الشعور بالوحدة ، حتى على الرغم من المشاركة الحادثة بينه وبين صنفه من المناضلين... ولكنه وهو في غمرة نشاطه النضالي العنيد ، لم تفارقه وحدته القديمة ، بل إنه زاد شعوراً بفداحة وحدته ، وفي الوقت الذي كان يأمل فيه أن يتبنى «الصنف» مشكلته هو ، وأن يعمل على حلها له ، أدرك أن الصنف يلزمه هو على تبني مشكلته .. »

أي صنف من الرفاق هذا الذي يعمل على زيادة الشعور بالوحدة ، ويكون أحوج إلى معونة الملتجيء اليه لحل مشاكله .

انني أكاد أرى أن الكاتب قد اضطرب المضمون في عمله الفني لأمر من اثنين ، إما لأنه يكتب لنا تجربة خاصة ، وإما أنه لا يريد أن يستجيب لثقافته التي تسوقه كرهاً إلى أن يكون واحداً من الكتاب المناضلين .. ولقد كان اضطراب هذا العمل الفني ، في مدى الصراع بين صالح وبين قريبه الجامعي . فمما لاشك فيه مثل أن هذا الأنموذج المناضل يستحيل عليه ان يكون مقعداً على مثل هذه الصورة المحزنة ، تلك التي كشفت عن معتقداته الطبقية وهو يقول : « إنني أعظم منك ومن جامعتك ومن زملائك .. انني احتقركم جميعاً .. إحتقركم »

هذه معتقدات عامل متجمد العقل والنفس والمعتقدات ، وصالح الذي يفزع الى الرواية الأجنبية في السينما ، والى القصة الطيبة في الأدب المنقول ، وإلى الموسيقى الكلاسيكية ، ثم إلى البحث عن حل لمشكلته ومشكلة رفاقه ، صالح هذا الذي رسم الكاتب ، غير معقول أن يكون معقداً هكذا ...

ثم ... من هو أبو منصور هذا ؟

لقد فوجئت به في نهاية القصة ، ومع أنه ظهر فجأة ، إلا أن الاستاذ مطاع ركز عليه نهاية القصة ، فقد لجأ اليه لجوءاً مفاجئاً ليمهد لنا بحكاية الكلب ، وهي الأخرى حكاية دخيلة على الجو ، ليمهد دخول صالح السجن .

كنت احب أن يكتشف صالح أمراً يجعله يقف على أنه كان مخدوعاً ، أو على أن هناك مغالطات ذات بال من شأنها أن تضر به ، أو ببعض قيمه المثالية التاريخية . إن شيئاً من ذلك لو أنه حدث ، لبرر لنا حادث افشاء صالح اسرار زملائه وتناقضه مع احلامه الأولى .

لقد تركنا الاستاذ مطاع ونحن محيرون ، هل نشمت من صالح ، أم نرثي له ، ولاينبغي لكاتب مثل الأستاذ صفدي ، أن يترك قراءه وهم غير قادرين على تلمس الهدف من خلال عمله الفني الذي لا ينقص قدره هذا الاضطراب ، في الحق أنه يبشر بأعمال رائعات ، سنقرأها حتماً في القريب ...

أعيـــاد : بقلم الأستاذ عبد الله نيازي

انها لصدفة محض ، أن أقرأ « أعياد » للاستاذ عبدالله نيازي بعد « مفتاح الأقفال » ، وان الكلام عنها ، عن « أعياد » ، لمكمل بطريقة ارتباطية لمـا قلناه عن قصة الأستاذ صفدي .

هناك شكل فائق واضطراب في المضمون ، وهنا النقيض ، هدف عظيم لم يبن على عمل فني .

إن بطل قصة اعياد في أزمة نفسية ما نكاد نستشعر مرارتهـا حتى نندفع تلقائياً باحثين عن أسبابهـا .

ونحن في الطريق ، عند البحث عن أسبابهـا ، نزداد استشعاراً لهذا الألم الذي يملك على صاحبنا أقطار نفسه ، فما من إنسان منا إلا وقد مرت عليه تلك اللحظة الصوفية التي يصدق عندها في تلقي انفعالاته الزاخرة ، يقف أمام نفسه مطأطىء الرأس ، خزيان ، بالنسبة لما كان يرجو أن يقدمه للحياة من احدى زواياها ، وكأنما معتقداته ، في هذه اللحظة ، شيء منفصل عنه تماماً ...

مدخل للقصة ولاشك ، يدفع القارئ دفعاً للبحث عن أسباب هذه الأزمة ، وللاندماج ، عفوياً في المضمون .. وتقبل الزوجة ، وكنا قد كرهنا لقاءها في هذه اللحظة لأنها ستجيء « بزينتها وعطرها وفي يمناها طفلتها ، تقول له والبشر يطفح على وجهها ، والبهجة تملأ كيانها كله ... لتقول له ... لتقول له ... »

كرهنا لقاءها لتوقعنا أن اصطدام الزوج المأزوم ، الصادق مع انفعالاته ، بزوجته القرمة السابحة على سطح المباهج الباهتة ، أمر من شأنه أن يزيد من اكتئابه المرير . وبالفعل « تحطم القدح الذي كان بين يديه » ولم يرد بحرف على تساؤلها و « أدار لها ظهره » وأخفى عنها « دمعة كانت تنبجس من عينيه » و « فتح المذياع وأغلقه » و « لم تعد تجذبه تلك البهجة التي تغمر كيان امرأته » و « لا تلك البراءة التي تنبعث من طفلته » و « لا » و « لا » ، فإذا ما الحت زوجته بالتساؤل عما به ، تريد أن تفهم شيئاً ، فيفصح لها عن أزمته قائلا « هل تفهمين احاسيس انسان تقول له باصرار وعناد إنه حقير .. حقير .. »

وغادرته بعد أن أوحت له بصور أخوات لها من بنات حواء « استطعن أن يحسن وجودهن ويحققن ذواتهن .. » ما زلنا في الاندفاع وراء الأسباب ، وقد اصبحت الفكرة التي نبحث عنها ، دنيانا ، بيننا وبين الاندماج لحظات . وما أن نقف على الأسباب حتى نحتفل بالقصة ، إنها من أدب الحياة ، من أدب النضال ، فلم تكن اسباب الأزمة ذاتية ، وانما هي واقعية من انعكاس ازمة شرقنا العربي ، إذ « كيف تكون الأيام سعيدة ودماء اخوانه تراق على أيد دنيئة لاتعرف الكرامة . وأرضهم ، أرض اخوته العزيزة يتناهبها باغ أليم ، كيف يستطيع انسان أن يستشعر ذلك ويذهب ليشارك الناس فرحهم وسرورهم .. وكأن شيئاً لم يحدث .. »

ياله من هدف رائع عظيم ...

ما الذي صنعه بطلنا بعد أن جند احاسيسنا معه ؟

رفع يده فجأة الى ذقنه التي لم تحلق منذ بضعة أيام ... »

أحقاً ؟ أو تظنون أن مثل هذا الرجل الذي كدنا نتفصد ألماً من أجله ومن أجل هدفه ، تضغطه أزمة نفسية من أجل بعث جديد للبلاد العربية التي تناضل

مؤلفات عسكرية

— **رسالة في الرئاسة والرئيس** للزعيم مونتانيون
— **الجيش المحترف** للجنرال دي غول
— **الجيش الفرنسي** للويس الحاج

ويشتمل كتاب **الجيش الفرنسي** على فصول تبرز بطولة المغاربة الذين حاربوا في صفوف الجيش الفرنسي وقاموا باعمال باهرة . وهو مزين بـ ١١٠ صور ولوحات تاريخية .

صدر عن **دار المكشوف** — بيروت

في سبيل تحقيق حريتها ...

يرفع يده ليتحسس ذقنه هكذا فوراً ، ثم يداعب زوجته ويدور بينهما حوار ، ينتهي بنا إلى أن نعرف عنه أنه « سيقرع » الناس لانهم سعداء ، واخوتنا في الجزائر وفلسطين جياع ... وموتى ...

تلك نهاية الحوار ، اي نهاية القصة ، فهي صب الغضب ، والأزمة على زوجته المسكينة ، وكأنها بعض اعوان الاستعمار ....

انها صدفة أن تجيء هذه القصة بعد تلك ، لندرك قيمة الشكل ، وقدرته في بقاء العمل الفني ، فقد تداعى هنا الشكل ، واضطرب اسلوب معالجة الهدف الرائع ... الكبير .

رجل الدرج : ترجمة الاستاذ شفيق الفقيه

انها قصة للتسلية كادت تخرج من اطار الأدب لولا بناؤها على اساس من علم النفس سليم .

والعادة أن تخلو روايات التسلية من كل عناصر الفن ، اللهم إلا الاندماج في لحظة اكثر عمقاً من واقعنا قبل القراءة .

أما « رجل الدرج » فقد جاء انموذج البطلة من واقع الحياة ، فهي فتاة مصابة بأمراض العصاب ، وقد تراكم على شعورها زمناً طويلا احساس الخوف الذي يسميه فرويد phobia

وإنه لجهد على أي حال ، لست أدري هل يساوي في قيمته ملء ثماني صفحات من مجلتنا العزيزة « الآداب » أم يساوي .... أكثر ؟

القاهرة **زكريا الحجاوي**

القصائد

بقلم محمد الفيتوري

مسئولية خطيرة كتابة الشعر ، وأعظم منها خطورة محاولة نقده ، وبخاصة تصدي غير الناقد المتخصص ..

ولكن تقليد « الآداب » اكتسب لنفسه ، حق الالزام الأدبي .. واكتسب للاديب المعاصر ، قيما أخرى ، بعضها ضرورة فهمه الواعي ، المتطور ، لقضايا عصره الفكرية ، وقضية النقد الأدبي واحدة منها ، وبعضها اسقاط الحواجز التقليدية الفاصلة ، بين مكاسب العقل الانساني ، الثقافية جميعاً ، الادبية منها ، والفلسفية ، والعلمية ، والسياسية ...

واستناداً الى هذه الركائز الجديدة ، القوية ، سأقيم بعض الخطوط ، قبل مناقشة شعر هذا العدد .

سأقول ان محاولات شعرية كثيرة ، قام بها شعراء كثيرون ، في مصر ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والسودان ، ليست من الشعر في شيء ، لأنها عارية من الفن ، ومن الحقيقة ، ومن الحياة ..

وسأعطي نفسي حرية التأريخ ، فأقرر أنها أعمال أدبية ، وقتية ، لن يقدر لها الخلود .. وسأوجه الى الشعر الجديد ، هذه الاتهامات :

– الهزلية في معالجة حقائق الحياة الجادة .

– الاحساسات الجماعية المزيفة ، المقحمة على هذا الشعر اقحاماً عقلياً بارداً .

– التجارب غير الناضجة ، أو المتكاملة ، التي حولت هذا الشعر ، الى أدراج خشبية مكتظة بالتقارير ، والبيانات ، والمعلومات المدرسية .

– غلبة الاتجاه نحو الكسب الأدبي .. وضخامة الانتاج ، وتملق جماهير القراء .

– الفهم الجانبي المنحرف ، لقضية الشعر الحديث ، مما تحولت معه هذه القضية الكبرى ، الى مجرد قضية شكل !

انا أعلم أن هذه الاتهامات الأدبية ، لن تصيب من واقع هؤلاء الشعراء الذين أعنيهم ، بأكثر من أن يلتفت أحدهم ، بذهنه ، أو لسانه ، نحو أقرب شاعر اليه ، ليسأله :

– لست أنا المقصود .. فهل أنت ؟

ولوأن هذا الأحد ، نفض غروره جانباً ، ولو أنه انتزع قناع الواقعية الزائف عن وجهه ، ولو أنه التفت داخله ، لعرف الحقيقة ..

ويهمني قبل أن أتجاوز هذه النقطة الحرجة ، أن أشير الى نماذج مختلفة ، من الشعر الحديث ، استحقت الثناء ، جاءت في اشعار نازك الملائكة ، والسياب والجواهري ، والعيسى ، وكاظم جواد ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، والبياتي ، ونزار قباني ، وصلاح عبد الصبور ، وتاج السر الحسن ، وجيلي عبد الرحمن ... نماذج لا اقول انها تكفي لتأكيد هذه الثورة الشعرية الجريئة ، التي نعيش في ظلها الآن ، ولكنها تكفي لتكون علائم باقية ، على هذا الطريق الطويل الجديد.

والآن يحسن أن نبدأ معاً في قراءة قصائد العدد .

قافلة الضياع : لبدر شاكر السياب

لا اعتقد أن هذه القصيدة ، ترتفع الى مستوى « اغنية المطر » رائعة صديقي بدر السياب ، بل لا أعتقد انه سيخالفني كثيراً ، عندما اقرر أنها لا ترتفع كثيراً عن مستوى هذا الشعر ، الذي نحاربه معاً .. شعر الخيالات السقيمة ، والحقائق التاريخية الجامدة ، والتجارب العقلية المشاعة ، شعر القوالب الصناعية ، الخالية من حرارة الحياة ، وجدية المأساة .. شعر :

السائرين الى وراء
كي يدفنوا هابيل ، وهو على الصليب ركام طين .

أود أن يصدقني أخي الشاعر الموهوب ، اني أحب كثيراً من شعره ، واني أكره قليلا منه ، ومن هذا القليل قصيدته « قافلة الضياع » ..

ولعلنا حين نتصدى لفكرتها بشيء من التحليل ، نتبين هذه النتيجة السابقة

يعرض الشاعر للحديث عن تجربة اللاجئين الاليمة ، هذه المأساة الانسانية الدامية ، وهو يتخذ سبيله الى ذلك ، أسطورة « قابيل وهابيل » المعروفة ، ومع وضوح الفارق بين نقطتي الارتكاز ، التي تعتمد عليها ، كل من الاسطورة

صدر

مرحباً بالحب

القصة التي احدثت ضجة في عمان

كتبها :

الاستاذ محمد سعيد الجنيدي

نشر : دار الآداب – عمان

صدر عن دار المعارف

مجموعة أولادنا

خير ما يشتهي ألباب الناشئة من قصص البطولة والفروسية والمغامرات العجيبة

١	عمرون شاه	١٢٠
٢	مملكة السحر	١٢٠
٣	كريم الدين البغدادي	١٢٠
٤	آلة الزمان	١٢٠
٥	الأمير والفقير	١٢٠
٦	كتاب الأدغال	١٢٠
٧	بينوكيو	١٥٠
٨	نبوءة المنجم	١٢٠
٩	روبن هود	١٢٠
١٠	دون كيشوت	١٢٠
١١	أيفنهو	١٢٠
١٢	جزيرة الكنز	١٢٠
١٣	كنوز الملك سليمان	١٢٠
١٤	سجين زندا	١٢٠
١٥	الزنبقة السوداء	١٢٠

تحت الطبع

الربان بلود
مون فليت
مقبرة الأفيال

تطلب من دار المعارف

لصاحبها : ا. بدران

بناية العسيلي ص.ب ٢٦٧٦

ومن جميع المكتبات الشهيرة في البلاد العربية

وتجربة النكبة ، هذا الفارق الاساسي ، في مفهوم كليهما ، من حيث قصدي الأولى للتجربة الانسانية ، من خلال المنظار الديني ، الغيبي ، بينما تخالفها الثانية ، في اعتمادها على الحقيقة المادية ، المحسوسة .

هذا الخلاف الجذري ، في قاعدتي التجربتين ، يجيء دور الشاعر العربي المعاصر ، المتصدى لهذا العمل الايجابي الخطير ، في ضرورة القائه مزيداً من ضوء العلم ، والتفسير المتطور ، على هذه الحقيقة لكي يبلغ هدفاً واعياً مستفيداً ، من اقامة المقارنة – لا أن يكتفي بمجرد سردها سرداً شعرياً ، عادياً ، تقريرياً ، ينتهي هذه النهاية السلبية :

السل يوهن ساعديه ، وجثته انا بالدواء والجوع ، لعنة آدم الأولى ، وارث الهالكين ساواه ، والحيوان (!) ثم رماه أسفل سافلين (!) ورفعته أنا بالرغيف ، من الحضيض الى العلاء (!) وسأقف لحظة عند هذا التعبير النثري ، اليومي :

هنا الحدود
هذا لكل اللاجئين ، وكل هذا لليهود

وعند هذا الصراخ الساذج :

عجل سيناء الاله ، انا الضمير ، انا الشعوب ، انا النضار !

وأقف عند هذا التركيب المتداخل ، اللاهث :

النار تتبعنا كأن مدى اللصوص ، وكل قطاع الطريق يلهثن فيه بالوباء ، كأن السنة الكلاب تلتز منها كالمبارد، وهي تحفر في جدار النور باب، تتصبب الظلماء منه كالطوفان ، فلا تراب ليماد منه الخلق، وانجرف المسيح مع العباب.

وأقف عند هذه التأثرات الصورية السينمائية :

كان المسيح بجنبه الدامي ، ومئزره العتيق
يسير ما حفرته ألسنة الكلاب ..
فاجتاحه الطوفان ..

وأقف وقفة أخيرة ، عند هذا التقرير الرسمي ، المنقول بنصه ، عن ملفات مكتب الغوث للاجئين :

نخف نحمل من « تذاكرنا » صليب اللاجئين
– يا مكتبا للغوث في سيناء ، هب للتائهين مناً وسلوى من شعير ، والمشيمة للجنين وأجعل له المطاط سره (! !)

الشهيد المهجور : لسلمى الخضراء الجيوسي

ربما تكون هذه القصيدة ، قد اطربتني شيئاً ما ، لطرافة صورها ، وقوة الدفعات الشعرية ، التي تخللت بعض مقاطعها ، وان صدمتني هذه « اللافتة » التي صدرت بها الشاعرة قصيدتها :

(من وحي قصة الدكتور العجيلي الرائعة « كفن حمود »)

ولست أدري اكانت « لافتة » اعتذار رسمي ، من الشاعرة بانعزالها المادي ، عن واقع التجربة ، او انها بمثابة اعتراف علني سابق ، بعدم معايشتها للمأساة معايشة حقيقية ، ومن ثم اضطرت الى تلك التهويمات الروحية «وأفرغنا أمانينا على الاوهام »

وان كنت لا أفهم معنى « لحشو » هذا البيت اللهم الا أن يكون للحكمة « كأن العيش مرغوب، اذا ماتت به الانغام» وان كنت لا أرى مبرراً، للعودة الى هذه الاستعارات السيرياليه ، المعروفة ، في عصر التجارب الواقعية والشعر الواقعي :

توهمنا اريج الخير ، في قارورة الانداء
و : رضعنا سكرة النعسان

و : غول الليالي السود ، وديجورها السكران
و : العدم المرتاح في ارجوحة القدر

ولن أنسى ، أن اشيد ببراعة الاخت الشاعرة ، في عملية التوزيع الموسيقي الرائعة التي تخللت القصيدة ..

اناشيد للجزائر

أوثر أن أهمل التعليق ، على هذه القصائد ، أو الاناشيد الأربعة ، تقديراً للعاطفة الوطنية المشتركة ، الصادقة ، التي دفعت بشعرائنا الأربعة ، الى كتابة قصائدهم ..

رسالة الى ابي : لنجيب سرور

أعرف شغف صديقنا نجيب سرور بالتعليقات ، والمناقشات والدخول في المعارك الأدبية ، التي لا تنتهي ، وبخاصة اذا ما تناولت شيئاً من انتاجه الغزير ، ورغم ذلك فسأسجل هذه الانطباعات السريعة ، التي خرجت بها بعد قراءة قصيدته « رسالة الى ابي »

القصيدة في مضمونها العام ، كتجربة شعورية ، لابأس بها ، وان كنت أحسست بشيء من الكذب الشعوري ، في بعض مقاطعها ، كلجوئه مثلا إلى مخاطبة أبيه بـ « سيدي » اذ الطبيعي ، أو المألوف ، أن يكون خطاب الولد لأبيه بـ « أبي » حسب ما نشاهد في واقعنا وواقع كل الناس ، لا كما أصر الشاعر على هذه المناداة الغريبة ، بينه وبين أقرب الناس اليه :

سيدي هذا عتابي
هادئ يلثم في البدء يديك
من هنا ، من غرفة الاحزان ، ازجيه اليك ..

وتستمر الرسالة ، بعد هذه الديباجة الضرورية ، في تتابع ذهني ، من الصور ، والذكريات ، والحوادث الصغيرة .. ويبدو أن بعض شعرائنا الواقعيين ، عرفوا كيف يحسنون الإستفادة من الافلام الامريكية ، واقحامها على واقعهم المحلي ، والنفسي ، في دقة بالغة :

أو ككنز تجاء من كهف اللصوص الاربعين

وبقدر استفادتهم من السينما الامريكية ، استفادوا كذلك من قراءاتهم لعناوين الادب الواقعي العالمي :

بعض سر دين بعلبه

وفيهم كذلك ، من استفاد من مشاهدة العاب « السيرك » الايطالي :

خلتها ادخل فيها بهلوان

واستفادوا من أحدث الاكتشافات العلمية الطبيعية :

نحن في المريخ زواد غزاه
كل شيء حولنا ظمآن يهفو للحياه

ولا أدري ماذا سيصنع صديقي نجيب ، فيما لو اثبت اكتشاف علمي آخر ، خطأ الاكتشاف الذي بين أيدينا ، فأكد أن كوكب « المريخ » أرض خضراء ذات ظل وماء !

العام السادس عشر : لاحمد عبد المعطي حجازي

هذه القصيدة عمل شعري طيب ، ربما كانت العمل الشعري الأول بين قصائد هذا العدد من « الآداب » لما تمتاز به من وحدة التجربة المعاشة بحق ، وخلوصها من التزييف ومحاولات « التنطع » المعتادة ، عند كثير من الشعراء المعاصرين ، ثم لموسيقاها المتتابعة الهادئة ، المتجاوبة مع احاسيس الشاعر البسيطة ، العميقة ، الصادقة ، نحو وقفة تاريخية ، في عمر كفاحه الشاب !

القاهرة **محمد الفيتوري**

محلات سركيس بوشكجيان

تعرض باسعار متهاودة اجمل وافخر تشكيلة من ساعـــات

بانيك فيليب و اوميغا

مشغل حديث لتصليح الساعات . وآلة — هي الاولى من نوعها — لضبط الساعة على الثانية

شارع رياض الصلح تلفون ٣٥٥٤١
باب ادريس تلفون ٢٣٩٢٢

LA MAISON SARKIS BUCHAKJIAN

vous présente la plus riche collection de montres

PATEK PHILIPPE ET OMEGA

Bab Edris
Tel 28922

Rue Riad Solh
Tel 85541

الأبحاث

بقلم عزالدين اسماعيل

لست أدري أكان من محض الصدفة أن تكون أبحاث العدد الماضي كلها ، وهي ليست كثيرة ، تدور في إطار مشكلة إنسانية واحدة هي مشكلة القلق — أم أن ذلك قد قصد اليه القائمون على أمر المجلة قصداً . وقد يظن أحياناً أن تنوع الموضوعات في المجلة الأدبية أفضل من اتفاقها ، لأن قارئ المجلة ينتظر في الغالب الواناً مختلفة من المباحث . ولكنني على عكس ذلك وجدتني مرتاحاً لهذا الأتفاق الذي لم يخل من تنوع كذلك .

في العدد بحثان ومقال . البحث الأول هو بحث الأستاذ حافظ الجمالي عن « قلق الشباب العربي المعاصر » والبحث الثاني هو بحث الأستاذ رينه حبشي عن « الوجود والنظر عندسارتر ومارسيل » الذي ترجمته الأستاذةعايدةمطرجي. وأما المقال فهو للأستاذ أديب نحوي بعنوان « عطاء الإنسان العربي » .

واعتقد أن القارئ سيعفيني هنا من بيان الأساس الذي جعلت به مقال الأستاذ أديب مقالا وليس بحثاً ضمن الأبحاث . ولكنني في الوقت نفسه أعود لأذكر أن موضوع القلق المشترك قد صادف التنوع الكافي من جهتين : أولا من اختلاف أشخاص الكتاب أنفسهم ، وثانياً من اختلاف منهج العرض . بل إنني لأعدها فرصة طريفة ، أن يتصل الإنسان بالموضوع الواحد من خلال آفاق وعبر طرق متنوعة .

وسأبدأ ببحث الأستاذ الجمالي ، وهو بحث مستفيض أرجو أن أنجح اولا في تحديد خطوطه الأساسية .

يرى الأستاذ الجمالي أن الحضارات التي تسود العالم الآن حضارات قلق ، مقابل حضارات من الممكن أن تقوم هي حضارات الاطمئنان . فالحضارة التي تنشأ على أساس من تحكم المادة في الإنسان تعد حضارة قلق ، والحضارة التي تقوم على أساس من تحكم الإنسان في المادة تعد حضارة اطمئنان . والحضارة القلقة هي التي نجد الإنسان فيها « لا يشعر بالاطمئنان على غده ومصيره » ، فهو خائف ابداً ، « من الفقر ، أو من العوز ، أو من البؤس » . أما حضارة الاطمئنان فهي التي يطمئن الإنسان إلى خبزه في ظلها . حقاً إن هناك قلقاً من نوع آخر يلازم كل صور الحياة هو القلق من الموت أو المرض ، وعندئذ مما أحرانا ألا نضيف إلى هذه الصور الطبيعية من القلق صوراً أخرى مصطنعة هي الخوف الدائم من الفقر والجوع والبؤس . فإذا انتبهنا بصفة خاصة إلى القلق الذي يعانيه الشباب العربي المعاصر ، وجدنا أنه « قلق مستمر متنوع الصور ، مختلف الجوانب ، معقد الوجوه . وهو قلق حيوي من ناحية أولى ، ينشأ من الخوف الدائم من الفقر ، والحذر المستمر من البؤس ، وقيام الحياة الاقتصادية على أساس الحرية في العمل والكسب . وهو قلق سياسي من ناحية ثانية ، ينشأ من تآمر الاستعمار علينا ، وغرسه إسرائيل في أرضنا ، وتهالكه على عرقلة تقدمنا وتأخير وحدتنا . وهو قلق اجتماعي ، من ناحية ثالثة ، مبعثه هذا التطور السريع في المجتمع الذي يقلق الوجدان التقليدي ... وهو كذلك قلق اثنولوجي ينشأ عن كثرة الطوائف ، وعدم وجود أكثرية قوية متجانسة التفكير ، المستوى الثقافي ، والمصالح . وكل هذه الأنواع من القلق إنما تعيش في جو اجتماعي يغرق أفراده في التمسك بفرديتهم ، والحرص على إيكو سنتريتهم(١) فإذا نحن مضينا في البحث عن حل لأزمة القلق هذه لم نجد في الحضارة الغربية ما يعين ، « فالمجتمع الغربي ليس سليما حقاً حتى نطلب مجرد اللحاق به ... بل هو مريض فعلا ، وهو يعاني أزمة قلق أكبر من أزمتنا وأدهى . » لقد فشل العالم الغربي وفشلت حضارته في انشاء عالم إنساني سعيد هادئ . قد يكون لديه ما نحن في حاجة إليه كالعلم والصناعة ، ولكننا لو تمثلنا به جملة لكنا عاملا جديداً في زيادة الاضطراب والصخب والحروب العالمية .

الأزمة إذن ليست أزمة العالم العربي أو الشباب العربي ولكنها في الحقيقة أزمة عالمية يشترك فيها كل الناس في الشرق والغرب . والحلول التي تقدم بها الغرب حتى الآن ليست حلولا مجدية ، وما زالت الأزمة على أشدها حيثما ذهبت لم تقض عليها المذاهب المختلفة التي عرفها ويعرفها الغرب الآن ، بل لم تخفف من حدتها ، وهنا يرى الباحث أن الدور لإنقاذ العالم من هذا الكابوس الوخيم هو دور العالم العربي . هو دور شبيه عنده بالدور الذي قام به العرب بزعامة محمد ليبسطوا في العالم قيما إنسانية جديدة تضمن هناءته واطمئنانه. « ولن تنشئ القيم الجديدة الا فلسفة جديدة في القيم ، وكل فلسفة في القيم إنما هي فلسفة روحية بالدرجة الأولى » .

والى هنا استطيع أن اكتفي باقتباس الخطوط الأولى لهذا البحث . وواضح من هذا العرض أن الباحث بدأ بتلمس المشكلة في نطاقها الضيق (قلق الشباب العرب) ثم حلل هذا القلق إلى عناصره المحلية ، وبعد ذلك تطور بالمشكلة — وهو بسبيل ايجاد الحل — إلى نطاقها الأوسع (القلق العالمي) مبيناً قصور الفلسفات الجديدة كالماركسية والإشتراكية والوجودية والشخصانية عن الاهتداء للحل الكافي . وهنا يجد أن العرب أنفسهم هم أهل لحمل رسالة الخلاص التي تبشر بفلسفة روحية لا تنكر الدين ، كما تؤمن بالفكر الوضعي .

ولعمري لقد أحسن الباحث عرض موضوعه ، ولكن فكرة الحل كانت في حاجة إلى تحليل يضع بين يدي القارئ خطوط مشروع كامل لخلاص العالم من القلق ، هي بمثابة الدعوات التي تتضمنها رسالة العرب في سبيل هذا الخلاص لقد اكتفي بحسن العرض إيماناً منه بأن «حسن طرح المشكلة يعادل نصف حلها».

وسأحاول — من جانبي — أن أتمثل وضعاً آخر للمشكلة ، قد يتفق مع وضعها في هذا البحث في عمومه ، ولكنه يصل بها إلى صورة من التبلور الذي يجعلنا نستطيع أن نقترح الحل بالخط العريض في صورة غاية في الوضوح .

من الأشياء البديهية أن الإنسان يتطور منذ طفولته الى شيخوخته ، وأن هذا التطور لا يحدث في جانب واحد من تكوينه ولكنه يسير متوازياً في كل الجوانب على السواء ؛ فعندما ينمو الطفل فيزيائياً تنمو قدرته البدنية ، كما تنمو قدرته العقلية بشكل مناسب (لايدخل في هذا التقدير الحالات الشاذة بطبيعة الحال) . وكذلك الأمة ؛ مجموعة من القوى المتفاعلة المتناسقة ، تبدأ بسيطة ثم تتسع وتتضخم ، وهي كلما اتسعت وتضخمت زادت الحياة فيها تعقيداً ، ولكنها تظل متوازنة مالم تقف في وجهها العراقيل .

هذه البديهية يمكن أن نستغلها في وضع فكرتنا . فالواقع — فيما يبدو لي — أن قيام الحضارات وتطورها ونموها أو اندثارها كان خاضعاً دائماً لمبدأ أساسي هو الميزان الحساس الذي يتحدد بحسبه موقف الأمة ومستقبلها . وهذا المبدأ هو مبدأ « التوازن » . فحياة الأمة تتطور إلى أفضل عندما تنمو مكوناتها متناسقة متوازنة. وتتطور كذلك — ولكن إلى أسوأ — عندما تفقد هذه المكونات توازنها ، فتنحل وتضعف وتندثر .

وهنا أستطيع أن أقوم بأول تطبيق للفكرة عندما أستبدل بحضارة «الاطمئنان»

(١) تكررت في البحث كلمة « إيكوسنتريتهم » ، ولا أدري إن كان الخطأ المطبعي قد تكرر ؛ فأغلب ظني أنها « ايجوسنتريتهم » ، وعندئذ يمكن ترجمتها بعبارة« الاشتغال بالذات » « .

التي أشار اليها الأستاذ الجمالي حضارة « التوازن » ، وبحضارة « القلق » حضارة « فقدان التوازن » . والمسألة كما يبدو – أو كما لابد أنه يبدو – ليست مجرد استبدال لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة ؛ لان الأطمئنان شيء لا يمكن ضبطه ، وكذلك القلق . إن « الاطمئنان » غاية ، و « التوازن » هو الوسيلة لتحقيق هذه الغاية. والبحث عن حل المشكلة لايكون – بطبيعة الحال – بأن نحدد النتائج بل هو قائم – في الحقيقة – في إدراك الوسائل . الاطمئنان حالة استاتيكية والتوازن حالة دينامية . فأنت لاتستطيع أن تسأل ماذا يكون بعد الاطمئنان ، لأنه ليس هناك اطمئنان بعد الاطمئنان. ولكن التوازن يستتبع شيئاً دائماً ، وهو لايقف في وجه التطور الذي هو سنة الحياة . فالتوازن من الممكن أن يتحقق في كل مراحل التطور ، وتحققه في مرحلة ما لا يجمد هذه المرحلة بل بتطور بها أو معها في حركتها النامية الدائبة . فإذا مضينا في التطبيق خطوة أخرى وجدنا أن التفاوت بين الأمم في مدارج الحضارة ليس سبباً كافياً لتوفير عنصر الاطمئنان للأمم المتقدمة ونقصه عند الأمم المتخلفة ، إذ يكفي أن يفتقد التوازن عند الأمة المتقدمة في إحدى المراحل حتى تتنازعها عوامل القلق والاضطراب والتحلل ، في الوقت الذي تكون فيه الأمة البادئة المتوازنة القوى أكثر صحة ورضاء وأمناً . والغرب الآن قلق . ونحن قلقون . الغرب الذي سبقنا خطوات في مدارج الحضارة ، ونحن الذين بدأنا نفتح عيوننا.. هو قلق ونحن قلقون ، لأنه غير متوازن ، ولأننا غير متوازنين . هو غير متوازن في تقدمه ، ونحن غير متوازنين في تخلفنا . فإذا نحن اشتركنا مع العالم في قلقه فإن قلقنا ما يزال يختلف عن قلق الغرب اختلافاً جوهرياً . فالحضارة الغربية في حاجة لان تتوازن مع ذاتها ، ونحن كذلك في حاجة – أولا – لأن نتوازن مع أنفسنا . ويكفي أن أشير هنا إلى مسألة غاية في الوضوح تتمثل في الأمة العربية على اختلاف أقطارها وبنسب مختلفة هي أن معدل التقدم المدني خلال الخمسين عاماً الماضية يزيد أضعافاً عن معدل التقدم الحضاري (الثقافي المعنوي) ، فنجد أناساً يركبون العربات « الكاديلاك » مثلا من « موديل ١٩٥٦ » وهم لا يكادون « يفكون الخط » . وعربات الكاديلاك وما ترمز اليه من وسائل التمدن مستوردة من خارج غريب عنا ، فهي طارئة وليست متولدة عن حاجة حضارية بارزة في كياننا وفي مجتمعنا . ولست أوافق الأستاذ الجمالي على اعتبار أننا أخذنا عن الغرب ما هو سيىء ، لأنه ليس سيئاً في ذاته ، فعربات الكاديلاك ليست سيئة في ذاتها ، بل هو سيىء لأنه – أولا وقبل كل شيء – لا يتوازن مع وجودنا وكياننا الحضاري . وهذه الزيادة في ناحية والنقص في أخرى يعملان على فقدان التوازن الداخلي .

لابد إذن من توازن الناحيتين الروحية والمادية ، أو توازن قوى الاستهلاك وقوى الإنتاج في المجالين الروحي والمادي ، بحيث لا يطغى جانب على الآخر أو يسبقه . فزيادة النشاط الروحي لها من الخطورة ما لزيادة النشاط المادي ، والمجتمع السليم في حاجة دائماً الى مقادير متناسبة من النشاطين .

قد توجد الحضارة المادية – أو الروحية – وتستمر رداحاً من الزمن ، ولكنها لاتضمن البقاء والاستمرار أبد الدهر ، وليس استمرارها إلا نوعاً من الاندفاع بفعل القصور الذاتي. ولابد لاستمرار الحياة من توازن بين جميع طبقات الإنتاج حتى تسير عملية الاستهلاك اللازمة للحياة سيرها الطبيعي .

وبعد كل هذا أعود لألتقي مع الأستاذ الجمالي في أن العالم أجمع في حالة من القلق ، أفسرها أنا بفقدان الفرد توازنه مع نفسه ومع الآخرين ، وفقدان الأمم توازنها داخلياً وخارجياً . والبحث الآن يجري في جامعة هارفارد للوصول إلى حل عن طريق تخطيط نظرية كاملة في «التوازن Eduilibrium »

* * *

ولننتقل الآن إلى مقال الأستاذ أديب نحوى ، أو إن شئت إلى الصورة القلقة التي رسمها الأستاذ أديب . وقد بدأ هذه الصورة من جانب غاية في الإشراق هو تلمس المشاعر التي تخالجنا في المناسبات السعيدة – أو المفروض أنها مناسبات سعيدة – كالأعياد . إنه يرى البهجة والمرح يعمان الناس ، ولكنه يحس بزيف هذه البهجة وذلك المرح . إنها بهجة سطحية لا بهجة في الأعماق ، وهو مرح متكلف يخفي وراءه كآبة وحزناً . والذين سبقونا إلى الاحتفال بالأعياد كانوا أكثر منا اندماجاً في المعنى الحيوى للعيد ، فلم يكونوا يجددون يوم العيد ملابسهم ، بل كانوا يجددون كذلك إيمانهم « لذلك كان فرحهم بالعيد فرحاً حقيقياً لا ينحصر بالأشكال والطقوس ... كان فرحهم حقيقياً لأنه كان الارتباط المتجدد بمعنى الرسالة ، رسالة الفرد في أمته ، حتى تستطيع أمته أن تقوم بتأدية رسالتها في مجموعة الإنسانية . » أما نحن الآن – نحن العرب – فقد فقدت الأعياد عندنا معانيها ففقدت بهجتها الحقيقية . « سبعون مليون عربي انقطعت الصلة بينهم وبين التعبير المنتج الفعال عن معنى العيد ؛ فهم وإن كانوا قد بدأوا يشعرون بثقل القيود إلا أنهم لم ينطقوا بعد ثائرين على من يكبل ايديهم بتلك القيود » .

ثم يدعونا الكاتب لأن نخوض في جرأة معركتنا مع أنانيتنا ، مع مصالحنا ؛ لأنها لاتقل أهمية عن معركتنا مع الأعداء ، وأن نخوض المعركتين في وقت معاً. وهنا يتضح معنى العطاء . فلا قيمة لعطاء ما هو فقير هزيل . ونحن فقراء النفوس هزيلو القيمة ، إذا ضحينا من أجل وطننا بنفوسنا كان عطاؤنا لوطننا أفقر عطاء . ولا يمكن أن يعد من يسقط منافي ساحة المعركة بطلا إلا اذا كانت نفسه قد تشربت البطولة وتهيأت لها ، فتفجرت في أعماقها كل قدرة على الإعطاء ... « إلا إذا استطاع أن يعطي للوطن كل ذرة من ذاته إنتاجاً دائماً . »

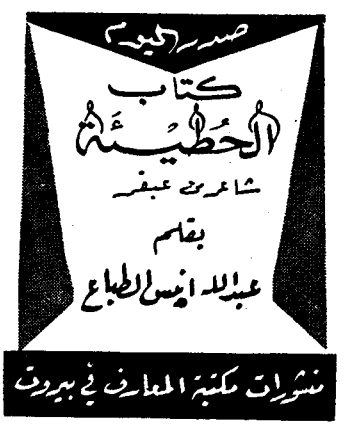

صدر اليوم كتاب

رأس المال

القسم الخامس

الثمن ٣٠٠ ق.ل

وينتهي الكاتب إلى أن سر كآبتنا يكمن في أننا نحاول جزءاً من الفرح قبل أن نعيش الألم كله .

« لنتألم إذن بعمق ... إذا كنا نريد أن نثور بصدق » .

« لنتألم بكل مافي وسعنا من طاقة على الألم ، إذا كنا نفتش في ليالي العيد عن معنى الفرح الحقيقي .»

انها صورة صادقة لكآبتنا ، ولكنها — كما قلت — تفيض إشراقاً .

وكآبتنا — فيما أعتقد — ليست إلا مظهراً للقلق الذي يساور نفوسنا . فأنا أؤكد للأستاذ أديب أن الذين تجردت نفوسهم عن الانشغال بشيء أو الاهتمام به ، أولئك الذين يلقون عن كواهلهم كل عبء ، أو بالأحرى لايحملون على كواهلهم أي عبء ، هم أسعد الناس ، لأنهم أشد الناس جموداً . أما الذين يشعرون بالمسئولية ، ويحملون أنفسهم العبء ، فهم القلقون ،وهم الكئيبون. إنهم لا يستطيعون أن يفرحوا من أعماقهم ، لأن الفرح لم تتفجر شعاعاته بعد في نفوسهم . وليس لديهم مع ذلك ما يعطونه لأنهم لا يعرفون ماذا يعطون . إنهم مازالوا يستقبلون ، من هنا ، ومن هناك ، ومن الماضي ، ومن الحاضر ، الأبيض والأسود،والمشرق والمعتم ، دون الوصول إلى القرار الحاسم . وبغير هذا القرار لن يحدث في النفوس الاستقرار ، ولن تزول الكآبة ، وسيظل القلق ينتهب النفوس انتهاباً ، إلى أن تقر على قرار .

ألا فلنستنفد الكآبة ، ولنقض عليها ، حتى تهزنا البهجة هزاً ، ويصل الفرح منا إلى الأعماق .

* * *

ولنتفرغ الآن إلى بحث الأستاذ رينه حبشي . ومهمة الحديث عن هذا البحث شاقة ، فهو إلى جانب أنه موضوع فلسفي صرف تحتاج مناقشته كثيراً من الحذر والدقة ، فإنه كذلك قد تفرقت فيه المسئولية بين أكثر من واحد . فهناك افكار لسارتر وجابرييل مارسيل يعرضها ويعلق عليها رينه حبشي ، وتنقلها الينا بالعربية عايدة مطرجي . ترى أنستطيع أن نخلص لأفكار البحث دون ملاحظة لمجهودي الباحث والمترجمة ؟ ! الواقع أن البحث قد رتبت فيه الأفكار بحيث يتضح الفرق الجوهري بين نظرتي سارتر ومارسيل للعلاقة بين وجود « الأنا والأنت » ، على أساس من فلسفتيهما العامة . غير أنني اضطررت — قد يكون لنقص في ذكائي ، وقد يكون لقلق بعض العبارات — اضطررت لإعادة قراءتها . وأخشى أن أتحدث عن الترجمة فيقال لي ما قاله الأستاذ مجاهد. مجاهد بحق في نفس العدد الماضي من أن المقال الفلسفي يحتاج إلى جهد خاص يبذل عند قراءته .

لنعد إذن إلى البحث ذاته .

والقضية في بساطة هي قضية العلاقة بين الفرد والآخرين .

فالفرد يظل حرية كاملة ، إلى أن يُرى ، فيؤكد له شعوره بأنه يري علاقته مع الناظر اليه . فأنا إذن موضوع رؤية الآخرين ، وهو الرائي ، هو الفاعل ، هو الموجود ، وأنا بالنسبة اليه شيء . وفاعليته من شأنها أن تجمدني، أن تفقدني حريتي ، أن تختلس مني كل إمكانياتي ، أن تسرق وجودي . قد أكون أنا فاعلا حين لا يكون للمشهد الذي أنظر اليه معنى إلا بالنسبة لي ، حتى يظهر راء آخر ، فإذا بي أذوب أنا في المشهد ، واذا بنا ، أنا والمشهد ، منظور له ، وليس لنا معنى إلا بالنسبة اليه . لقد اغتصب إمكانياتي ، وحصرني في هذا الموقف ، فإذا أنا جامد عديم القابلية . في هذا الموقف انتصر الآخر علي وموتي ليس إلا انتصاراً كلياً للآخرين على وجودي .

إن نظر الآخرين المتلاحق المصوب الي خطر على وجودي غير منقطع ، يجب أن أدافع ضده . ووسيلتي الوحدى في الدفاع هي الرد . وبالرد أقلب الأوضاع التي تتجه لغير صالحي ، فأستعيد من الآخر صفتي الفاعلة الموجبة ، وأرشقه بنظري . إنه نزاع وجودي . و « جوهر العلاقات بين البشر هو النزاع » ، كما يرى سارتر .

هذا النزاع ، أو هذا الرد الذي أستعيد به حريتي « يتخذ عند سارتر شكلين شكل الحب وشكل الجنسية » .

في الحب يحاول العاشق أن يجعل نفسه شيئاً بالنسبة للآخر ، أي موضوعاً لفاعليته ، يود أن يختاره الآخر بكامل حريته ، وأن يصبح ضرورياً له . وحاجة الآخر الية هي التي تكسب وجوده معنى ، وقبل ذلك يكون وجوده غير لازم ، يكون نامياً على حافة العدم ، وهو يتخذ لذلك ما يناسب من وسائل فقد يستخدم اللغة ليسحر بها الآخر ، وقد يلجأ إلى التبرج ليصبح أمام الآخر « طريدة لا تنتظر إلا لحظة القبول » . فإذا كان الحب من الطرفين فإن كلا الطرفين يحاول أن يكون موضوعاً للآخر ، محتفظاً للآخر بفاعليته . هنا صيد وليس من صائد . فإذا ما فشل هذا الحل ، أي الحل عن طريق الحب ، فإن كلا الطرفين يعدل عن إدراك الآخر في صفته الفاعلة ، ويأتي الشكل الثاني للرد ، وهو الجنسية . فنحن في الجنسية نحاول أن نحيل الآخر الى جسد ، وأن نحبس حريته في جسده ، متخذين المداعبة وسيلة الى ذلك ، فيسحر الآخر بنفسه ، وينسى ماضيه ، ومهمته الإجتماعية . ولكن هذا الشكل يفشل أيضاً كسابقه حين يتعقد فيه التناقض ، وينتهي إلى نوع من السادية .

إن وجود الآخر عند سارتر إشكال يفشل بمعه كل حل . وليس له من حل إلا موت هذا الآخر . « إن موت الآخر هو وحده الذي سيكمل لي أمني » . « الجحيم هو الآخرون » . هكذا قال سارتر .

«الجنة هي الآخرون .» هكذا قال مارسيل .

عند مارسيل أن « نظر الآخر بدل أن يفجر النزاع ، ورغما على الإثارة والتحدي ، أو على أن نراقب أنفسنا بالتبادل حتى لا نضيع ميزتنا ، فإن النظر يستطيع أن يجعل من الآخر ، لا الآخر الذي هو يواجهني فقط ، ولكن اعمق من ذلك يستطيع أن يجعل منه مساعداً لنموي ، وينبوعاً من ينابيع حياتي الشخصية . من أجل ذلك نحن مسئولون وجودياً عن الآخرين . وما النظر الا عقدة دوران هذه الثروات . والآخرون ليسوا هم جحيم الافتراق ولكنهم جنة الأتصال » .

هكذا يفترق الفيلسوفان الوجوديان ، الملحد منهما والمؤمن،في فهم وجود الآخرين ، وعلاقة الفرد بهذا الوجود. وأمام هذا العبث في العلاقات البشرية ختم الأستاذ رينه بحثه بدعوتنا لأن « نفتح أسلاك الحنان الداخلية ، هذا الحنان المتقبل المتنبه لجميع الجراحات الفاقد رقابة العقل المشلة والشديدة الوعي » .

والآن — بعد أن تطفلت على هذا البحث بتلخيصه — أرجو أن يكون من الوضوح بحيث يمكن النقاش في أفكاره . وقد خطرت لي أنا شخصياً في اثناء قراءته عدة إشكالات وبعض اعتراضات . ولكنني أظن أن المجال المخصص لهذه الكلمة قد استنفد ، ومع ذلك سأشير الى رؤوس من هذه الإشكالات والاعتراضات .

فمثلا هل يمكن — في قصة الثقب التي رواها سارتر — أن يقيد الناظر حريتي إذا لم أقع أنا نفسي — أولا — نهب خلقية موروثة ؟

وهل يمكن أن يقع الحب من الفرد للآخر ما لم يكن ملحوظاً وجود آخرين ؟ — فنستطيع أن نقول : أنا أحب هذا— إذن فالآخرون موجودون. وعندئذ تتحرك المنافسة بين العاشقين خطوة أبعد ، فتقع بين كل من العاشق والآخرين .

وأخيراً لماذا يقنعنا سارتر وإن كنا « لا » نرتاح لنتائجه ؟

عزالدين اسماعيل

القاهرة — من الجمعية الأدبية المصرية